اللغة العربية أفضل اللغات للتعبير عن معارف الإنسان

إعـــداد

الدكتور/ عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى(*)

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل النبيين وخاتم المرسلين، سيدنا محمد عبد الله ورسوله الأمين، ورضى الله على آل البيت الطاهرين، وعن الصحابة والتابعين. وبعـــد..

فلقد شرف الله باختيار النبى الخاتم منهم، وباختيار اللغة العربية لكى تكون لغتهم ولغة دستورهم الخالد القرآن الكريم، وتكفل سبحانه بحفظ هذا الكتاب ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(١)، ويقول الله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾(٢).

ويقول أيضاً: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾(٣)، ويقول: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾(٤).

(*) الأستاذ بكلية الزراعة جامعة الأزهر – القاهرة.

(١) سورة الحجر الآية ٩.

(٢) سوره الأعراف الآيه ٥٢.

(٣) سورة النحل الآية ٤٤.

(٤) سورة القيامة الآيات ١٧ – ١٩.

ولقد أدرك الأقدمون للغتهم هذه المزايا فكانوا أكثر حبالها، وأشدَّ حرصاً عليها، فعملوا على التمسك بها، وسهروا على تنقيتها وصيانتها، كما قاموا بنشرها في كل موضع وطئته أقدامهم، حتى رأيناها لغة الدين والعلوم، في عهودها الزاهرة، وأيامها الناضرة، فاتسع طاقها ونطاقها، فتجاوزت المحلية الصنفية إلى العالمية الرحبة التى أرادها الله للقرآن وللإسلام، فأقبل على تعلمها واستخدامها الاستخدام الأمثل المسلم وغير المسلم، في بلاد الأندلس، والشام ومصر والمغرب والعراق وخراسان، وغيرها من البقاع.ولكن هذه اللغة المعطاءة العملاقة تتعرض اليوم لزحف من هجمات اللسان الأعجمى، فنراها في وضع لاتحسد عليه، في محاولة لاقصاء الأمة عن لغتها، وتوسيع شقة البعد بينها وبين تراثها وثقافتها الأصلية التى شكلت ملامحها، وعمقت هويتها، وكل ذلك يفرض علينا بذل قصارى الجهد نحو إعادة الثقة بها، والحفاظ عليها، كل في تخصصه، حتى تستقيم الألسن، وتتخلص من تلك العامية الممعنة في التقهقر، سواء أكان ذلك في النطق، أو في الإملاء والهجاء.

ومما يقوى هذا الأمل، ويعزز تلك الرغبة، ما تشهده من قيام الجمعية المصرية لتعريب العلوم، وما تدعو إليه جامعة الأزهر من تواصل الجهود نحو تحقيق هذه الغاية، بعقد المؤتمر السنوى الثانى لتعريب العلوم.

وقد اخترت هذا الموضوع لأشارك به في هذا المؤتمر، ولتكثير سواد العاملين على النهوض بلغة الضاد، ففي الحديث الشريف: «من كَثَّر سواد قوم فهو منهم، ومن رضى عمل قوم كان شريك من عمل به»(٥)، وسأحاول إبراز أهم ملامح هذه اللغة، وأهم المعوقات التى تعوق تقدمها، مع تقديم الوقائع العملية التاريخية التى تقدم الأدلة المادية على زيادة هذه اللغة وقدرتها على

(٥) تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث لابن الديبغ ص ١٦٨.

استيعاب سائر المعارف والعلوم الإنسانية، بل والتعبير عنها بدقة واقتدار، وأن أى محاولة للخروج بها عن هذا السنن إنما هى جرم لايغتفر، وأن الأجهزة المعنية بالتعليم وفي مقدمتها الأزهر وهيآته عليها أن تعى هذا الخطر وأن تعمل على تذليل الصعاب والعقبات.

أولاً: تاريخ اللغة العربية في الفكر الإنسانى:

ولبيان ذلك فإننا نجتزئ بما قاله العلامة محمود محمد شاكر:

«إذا كانت اللغة هى خزانة الفكر الإنسانى، فإن خزانة العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح من الفكر الإنسانى، وعن النفوس الإنسانية، ما يعجز سائر اللغات، لأنها صنفت منذ الجاهلية الأولى المعرفة في القدم، من نفوس مختارة بريئة من الخسائس المزرية، ومن العلل الغالية، حتى إذا جاء إسماعيل نبى الله، بن إبراهيم خليل الله، أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرما، وأسلمها إلى أبنائه من العرب، وهم على الحنيفية السمحة، دين أبيهم إبراهيم، فظلت تتحور على ألسنتهم مختارة مصفاة مبرأة، حتى أظل زمان نبى لا ينطق عن الهوى، وهو سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله بها كتابه بلسان عربى مبين، بلا رمز مبنى على الخرافة والأوهام، ولا ادعاء لما لم يكن، ولا نسبة كذب إلى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»(٦).

حدث عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: «إنا لقعود بفناء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ مرت امرأة، فقال بعض القوم: هذه ابنة محمد، فقال رجل: إن مثل محمد في بنى هاشم مثل الريحانة في وسط النتن، فانطلقت المرأة فأخبرت النبى - صلى الله عليه

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، وهو حديث حسن.

وسلم – فجاء يعترف في وجهه الغضب، ثم قام فقال: مابال أقوام تبلغنى عن أقوام؟ إن الله خلق الخلق، فاختار من الخلق بنى آدم، واختار من بنى آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بنى هاشم، واختارنى من بنى هاشم، فأنا من خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبى أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم»(٧).

ثانياً: العربى هو من يتكلم اللغة العربية:

عن مالك عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال. جاء قيس بن مطاطين إلى حلقة فيها سلمان الفارسى، وصهيب الرومى، وبلال الحبشى فقال: إن الخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل (يعنى النبى – صلى الله عليه وسلم) فمابال هو؟ وإن الأوس والخزرج من قومه العرب ينصرونه لأنهم من قومه، فما الذى يدعو الفارسى والرومى والحبش إلى نصره؟ فقام إليه معاذ بن جبل – رضى الله عنه – فأخذ بتلابيبه، ثم أتى النبى فأخبره بمقالته، فقام النبى مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودى الصلاة جامعة، وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب وأم، وإنما هى اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربى»(٨).

ففى هذا البيان النبوى تجلية لحقيقة هذه القضية، وأن العربية لاتختص بالعرب وحدهم وإنما تطلق على كل من ينطق اللغة العربية ولو كان من غير العرب في جنسيته، وقد ترجم النبى – صلى الله عليه وسلم – ذلك واقعا، فألحق أهل السابقة والجهاد من المسلمين غير العرب ببيت النبوة، وجعلهم

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، وهو حديث حسن.

(٨) رواه الحافظ بن عساكر.

سابقين لأقوامهم، فكما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو سابق العرب إلى الإسلام، فإن سلمان سابق الفرس إليه، وبلال سابق الحبشة وصهيب سابق الروم، عن عمرو بن عوف أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «سلمان منا أهل البيت، وبلال منا أهل البيت، وصهيب منا أهل البيت»(٩).

فاللغة العربية هى الوشيجة القومية التى تربط هؤلاء الأجناس ببعضهم، وليس هذا من قبيل الإسراف في تزكية النفس، ولكنه إحقاق الحق، ومن الإنصاف الإشارة إلى أن تميز العرب على هذا النحو مقيد بقيود القرآن والسنة التى تحفظ لكل مقامه، وتؤدى لكل ذى حق حقه.

ثالثاً: العوامل التى أدت إلى تفوق اللغة العربية على غيرها:

إن الفاقه البصير حينما يجعل النظر ويعمل الفكر فيما حبا الله به هذه اللغة حتى تكون جديرة بالتفوق على غيرها يجدها من الكثرة والوفرة بمكان، وبحسبنا أن نسلط الضوء على بقية منها فيمايلى:

١- اختيار الله هذه اللغة لتكون لغة الخطاب الإلهى، وما تبع ذلك من اختيار النبى العربى، وكذلك كون البلاغ باللسان العربى.

٢- كثرة مفرداتها ومرادفاتها، ومن شأن ذلك أن يوضح مدلول المسميات، فكل مرادف يدل على صفة من صفات المسمى، ومن أمثلة ذلك الأسد، فله أسماء كثيرة، وكل اسم منها يدل على صفة فيه، وهى في النهاية تبين خصائصه جميعاً، واللغات الأخرى لانجد فيها لذلك الحيوان إلا اسماً واحداً، فهو في الإنجليزية Loin.

---

(٩) ذكره السيوطى في الجامع الصغير.

٣- دراسة اللغة العربية أولا تيسر على الدارس استيعاب اللغات الأخرى وإتقانها بيسر؛ لأن مخارج الأصوات فيها متعددة، بحيث لاتترك مساحة صوتية إلا شغلتها.

٤- دلالة المصطلحات في اللغة العربية دلالة متطورة:

إن دلالة المصطلحات في اللغة العربية دلالة متطورة، وهى تعتمد على كثرة الاشتقاقات، ويحسن بنا هنا أن نوضح الفرق بين كل من المفهوم والمصطلح، وذلك على النحو التالى:

* المصطلح Term: هو الكلمة التى تدل على معنى أو عدة معان.

وجمعه مصطلحات Trems، والمصطلحات هى الأداة الرئيسية التى تحدد ملامح اللغة، والتى في إطارها يتعامل الناطقون بها، والعلم الذى يختص بدراسة المصطلحات هو Termnology.

* المفهوم concept: هو المضمون التصورى للمصطلح، أو هو المعنى أو مجموعة المعانى التى يدل عليها المصطلح وجمعه مفاهيم concepts.

ومن هنا ندرك العلاقة الوثيقة التى بين هاتين الكلمتين، فليس المصطلح مرادفاً للمفهوم، ولكنه ملازم له، فالمفهوم لابد له من مصطلح يشير إليه، والمصطلح لابد له من مفهوم يؤخذ منه، وإذا كانت معانى المصطلحات أو مفاهيمها تختلف باختلاف كل فن وعلم، فإنها تلتقى على معنى معين، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها مايلى:

- الصلاة: تعنى الدعاء في اللغة، وفي الشرع هى عبارة عن أقوال وأفعال مبتدأة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، ويلتقى المعنيان، ذلك لأن من هذه الأقوال ما هو دعاء.

- الزكاة: فهى في اللغة تعنى النماء والزيادة والطهارة، وهى في الشرع عبارة عن مقدار معين من المال يخرجه الإنسان بشروط معينة، فهى طهارة وزكاة ونماء لهذا المال.

وفي هذا الإطار يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة:

«المصطلحات هى نقاط الارتكاز من الناحية الثقافية والحضارية، وهى المعالم الفكرية التى تمدد هوية الأمة بمالها من رصيد نفسى، ودلالات فكرية، وتطبيقات تاريخية مأمونة، إنها أوعية النقل الثقافى، وأقنية التواصل الحضارى، وعدم تحديدها ووضوحها يؤديان إلى لون من التسطيح في الشخصية المسلمة، والتقطيع لصورة تواصلها الحضارى، والإلغاء لامتدادها المعرفى، والهبوط بها إلى مستوى التلقى الحضارى والثقافى الوافد.

والأمر الذى لابد من إيضاحه هنا هو أن الدعوة إلى المحافظة على المصطلحات ومدلولاتها لا تتعارض مع الامتداد بها، وتطويرها بشرط استصحاب المعنى الأصلى، وعدم الخروج عليه، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه القضية الخطيرة عندما أرشد المسلمين إلى ضرورة استخدام مصطلح (انظرنا) ونهى عن استخدام مصطلح (راعنا) الذى كان يستخدمه ويشيعه اليهود كنوع من التضليل الثقافى، وتحقيق بعض الأغراض الكامنة في نفوسهم، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾[١٠]»[١١].

(١٠) سورة البقرة الآية ١٠٤

(١١) في شرق العربية: المقدمة.

ولبيان هذا النموذج نقول:

إن القرآن يقدم لنا نموذجا رائعا للحفاظ على مدلول المصطلح اللغوى والبعد به عن التلاعب، فيرشد إلى استخدام مصطلح بديل له، وذلك أن اليهود قد دأبوا على تحريف الكلم عن مواضعه، والخروج بالمصطلحات عن دلالاتها الأصلية لغرض في نفوسهم، يقول الله تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين﴾(١٢).

وذلك أنهم رأوا المسلمين إذا ألقى عليهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - شيئا من العلم يقولون: راعنا يا رسول الله، يريدون منها: انتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه، وهذه الكلمة في حد ذاتها لاشيء فيها من سوء الأدب إلا أن اليهود حينما سمعوهم يقولون ذلك وصاروا يخاطبون الرسول بها محرفين لها عن معناها الذى أراده المسلمون، إذا أرادوا سبه بنسبته إلى الرعن وهو الحمق، أو أرادوا الاستهزاء به باللغة العبرية، فقد كانوا يتسابون فيما بينهم بكلمة «راعنا» العبرانية، فاستعملوها مقلبين في اللفظ ما ينطق به المؤمنون من سوء النية على عاداتهم في تحريف الكلم.

وكان سعد بن عبادة يعرف لغتهم، فلما سمعهم يقولون ذلك قال لهم: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبى - صلى الله عليه وسلم - لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾: نهيا للمؤمنين عن مخاطبة الرسول بهذه اللفظة، وقطعا لألسنة اليهود، حتى لا يتخذوها ذريعة لسب النبى وإيذائه والاستهزاء به، فإن

(١٢) سورة النساء الآية ٤٦.

معناها في لغتهم كما قيل: اسمع لاسمعت، وأمرهم أن يقولوا بدلا منها: انظرنا فإنها تؤدى معنى (راعنا) ولكن لايمكن لهم تحريفها إلى سب النبى والاستهزاء به.

ففي هذا المثال نجد اختيار المصطلح ليناسب المقام.

رابعاً: العوامل التى أدت إلى إضعاف تعلم اللغة العربية:

مما لاشك فيه أن هناك كثيرا من العوامل التى أدت إلى إضعاف تعلم اللغة العربية، وتهاون الناطقين بها من أبنائها في إتقانها، بل التمسك بها، ويتمثل ذلك في موجات من التقريب، تتابعت وتلاحقت، حتى أحرثت أثرها في مدى وجيز، ومن أهم هذه العوامل مايلى:

١- العامية:

لقد نشأت مدارس تتبنى استخدام العامية، وبخاصة في الشعر، وقد ساعد على رواجها وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، فاستخدمها أدعياء الطرب مادة للغناء، حتى شاعت وراجت مصطلحات ما كان لها أن تشيع لولا ذلك، ذلك لأن الأغلبية الساحقة منهم لاتستطيع الأداء باللغة العربية الفصحى ذات الجرس والحس والوقع المؤثر على النفس، وقد ساعد ذلك على إفساد ذوق المستمع ونفرته من هذه الألوان الترفيهية الهابطة التى لاتلقى رواجاً إلا عند ذوى الثقافات الضحلة والهابطة، وإن كانت هذه الاتجاهات قد تمسحت بأعتاب الحرية، فقد سمعت عن أصحاب مدرسة الشعر الحر، والحرية هنا تعنى الإبهام والغموض، وقد أحدثت هذه التيارات نوعاً من الفصام بين المستمع ولغته الأصلية، ولكن قد أخذت هذه التيارات تخبو لأنها لم تقدم جديداً ولا مفيداً..

٢- إدخال تعلم اللغات الأجنبية في رياض الأطفال:

وتأتى خطورة ذلك على اللغة الأم اللغة العربية؛ حيث يؤدى ذلك إلى تشويش مصطلحاتها في أذهان النشئ، والبعد عن تكوين مرجعية لغوية لدى الأطفال، وقد أثبتت الدراسات والأبحاث التربوية أن سن بناء المرجعية اللغوية لدى الناشئة تمتد حتى الثالثة عشرة من عمر الطفل، وفي هذا الخصوص يقول الدكتور على عبد الواحد وافى:

«إن الطفل في مرحلة الاستقرار اللغوى والتى تبدأ من السادسة أو السابعة أو الثامنة تبعاً لاختلاف الأفراد ترسخ لديه العادات اللغوية، ويستقر نطقة وشكل حديثه، وصفات تراكيبه وأساليبه، وإن كل أولئك يجعل تعلمه لغة أجنبية من أشق الأعمال عليه وعلى مربيه، ومن هنا يظهر ما وقعت فيه نظمنا المدرسية في العهود السابقة من خطأ إذ قررت تعلم اللغة الأجنبية على تلاميذ المدارس الإبتدائية وسنهم تتراوح بين الثامنة والثالثة عشرة، فالطفل كما قلنا - لايكاد يتجاوز السابعة من عمره حتى يفقد ما كان لديه من ميل فطرى إلى تقليد الأصوات، فتكليفه في هذه المرحلة تعلم لغة أجنبية يقتضيه بذل مجهود جبار لم يقو بعد على بذله، وغنى عن البيان أن إرغامه على بذل هذا المجهود إرهاقاً له وتعطيلاً لنموه الجسمى والفكرى، هذا إلى أن الطفل في هذه المرحلة لايمكن أن يدرك الفائدة التى تعود عليه من تعلم لغة أجنبية، بل لايمكن أن يدرك مدلول لغة أجنبية، وبذلك يتجرد عمله عن الغاية، ومتى يتجرد العمل عن الغاية أصبح من قبيل الأشغال الشاقة التى تحكم بها على المجرمين، وفضلا عن هذا كله فإن ما يتعلمه من لغات أجنبية في هذا الدور يزاحم المعلومات الأولية التى يتلقاها عن لغة بلاده، فيعوق إلمامه بمفرداتها وأساليبها وقواعدها، وفي هذا من الضرر مالايحتاج إلى بيان.

وقد فطن لهذا معظم الأمم الأوربية والأمريكية فأرجأت تعلم اللغات الأجنبية في مدارسها إلى مرحلة التعليم الثانوى»[١٣].

ومن هنا ندرك الأبعاد الكاملة على المستوى الفكرى والثقافى - لاتجاه الذين يمنعون تعلم اللغات الأجنبية قبل سن الثانية عشرة، حيث تعتبر هذه السنوات هى سنوات بناء المرجعية بالنسبة للإنسان... وندرك أيضا أسباب بعض الخلل والإصابات الثقافية التى نعانى منها»[١٤].

٣- التقليد:

وهذا لون آخر من ألوان التغريب، يتمثل في إشاعة المصطلحات الأجنبية على حساب اللغة الأصلية، وكذلك وضع اللافتات على المحال التجارية، ووضع الشارات والعبارات على الملابس داخلية وخارجية، وكذلك وضع جمل بأكملها في ثنايا النص العربى وتركها بدون تعريب، وغير هذا كثير.

وقد يكون من المفيد لتصويب هذا الخطأ وتصحيح هذا الخلل اللجوء إلى ما تقوم به بعض الدول مع مواطنيها حفاظا على كيانها وثقافتها من استخدام ألفاظ أو عبارات أجنبية طالما أن هناك ألفاظاً أو عبارات مماثلة تؤدى ذات المعنى في اللغة الأم.

حتى لقد شرعت فرنسا في مايو ١٩٩٤م عقوبة للذى يستخدم لغة غير الفرنسية في تحرير الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئية، وكافة مكاتبات الشركات العامة على الأرض الفرنسية، وبوجه خاص المحلات التجارية، والأفلام الدعائية التى ثبت عبر الإذاعة والتليفزيون...

---

(١٣) نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(١٤) في شرق العربية ص ١١.

وأوصت بعقوبة السجن أو الغرامة المالية التى تصل إلى ما يعادل ألفى دولار، وقد جاء هذا القرار في محاولة لاستنقاذ التراث الفرنسى المهدد بالأغراق اللغوى... فأين هذا من معاناتنا اللغوية، أو مأساتنا اللغوية في مدارسنا وجامعاتنا، ومعاهدنا، ومحلاتنا التجارية التى تمارس علينا أو تقرص علينا عملية التعجيم، وتكسر موازين وقواعد اللغة العربية، إنهم يعجموننا بدلا من أن نعربهم[١٥].

خامساً: كيف واجهت اللغة العربية المعارف الإنسانية؟

إن الإجابة على هذا السؤال ترينا بوضوح إلى أى أحد قامت هذه اللغة بالوفاء باستيعاب المعارف الإنسانية والتعبير عنها برصانة ووضوح، وكيف كانت هذه المعارف وتلك المؤلفات تتداول في العالم شرقاً وغرباً؟..

وهذا بطبيعة الحال إنما يرجع إلى مؤهلاتها التى أشرنا إلى جانب منها في هذه العجالة، وإلى جانب آخر فيتمثل في اهتمام الباحثين أنفسهم وحبهم لهذه اللغة إلى حد منقطع النظير، فقد رأينا منهم أمثال البيرونى، الذى بلغ شغفه بالعربية أن يقول: الهجر عندى بالعربية أحب إلى من المدح بالفارسية، ولذلك لما احترم أهل هذه اللغة لغتهم أجبروا غيرهم على احترامها، فقد تتلمذ الغربيون على هذه المؤلفات قروناً طويلة، وكانت تشكل عندهم المراجع الأساسية بل إن بعض الغربيين عنى بترجمة هذه المؤلفات ونقلها إلى اللغات الأخرى، كما قام بعضهم بتحقيقها، ونال على ذلك الدرجات العلمية مثل الدكتوراة، وسنقدم لك جانبا من هذه النماذج فيمايلى:

---

(١٥) في شرق العربية ص ٢١.

١- الإمام الدميرى:

عالم مصرى نشأ في القرن الثامن الهجرى، تعلم في الأزهر، وتخصص في الحديث النبوى الشريف، حتى بلغ مرتبة الأستاذية فيه، وتصدر لتدريسه، ولم يمنعه ذلك من تأليف كتابه الشهير «حياة الحيوان» وقد لعب هذا الكتاب دوراً مهما في الثقافة الغربية، فقد كان طلاب اللغة العربية في جامعات أوروبا وغيرهم يعرفون هذا الكتاب، وقد اشتهر في الأوساط العلمية هناك بأنه كتاب عظيم، واقتبس منه العلماء واستعانوا به في مؤلفاتهم.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية بواسطة «جاكار» وطبع في لندن ١٩٠٦ - ١٩٠٨م، وقد أثنى عليه هذا المترجم فقال: «لقد جاء كتاب حياة الحيوان للدميرى» نبعاً فياضاً من الحكمة الإسلامية والعربية، زاخر بقواعد الفقه والتشريع والأحاديث النبوية، والفنون الأدبية والأمثال، تدفقت كلها من مناهل متعددة، ومصادر مختلفة، وتجمعت كلها في صعيد واحد، ينهل منها القارئ من المسلمين في العالم العربى، فيضاً لا ينضب مما يعوزه الإلمام به في شئونه الدينية والدنيوية[١٦].

٢- أبو حنيفة الدينورى:

عالم موسوعى زراعى ولد بالعراق في القرن الثالث الهجرى، ألف كتاب النبات، وهو بمثابة موسوعة زراعية كبرى، وقد ضمنه نظرية الرى بالتنقيط عن طريق الأوانى الفخارية فضلاً عن اهتمامه فيه بعلم المراعى الطبيعية، وقد اهتم به علماء الغرب، فقد قام الباحث «لونهارد ليفين ايالا» بنشر القسم الخامس من هذا الكتاب عام ١٩٥٣م وكذلك اهتم «زليبربرح» به

(١٦) حياة الحيوان للدميرى ط. الشعب

فقد جعله موضوع رسالته التى حصل بها على الدكتوراة من جامعة «بريسلاو» عام ١٩٠٨م[١٧].

٣- البيرونى:

عالم فارسى عاشق للغة العربية ولد في القرن الرابع الهجرى، وضع المنهج العلمى في البحث قبل أن يولد «فرنسيس بيكون» دعا إلى تعريب العلوم بدافع من حبه للغة العربية، ونظرا لتفوقه وتفرده، فقد حاولت قوميات كثيرة نسبته إليها، فقد حاول الروس نسبته إليهم باعتبار مولده، وحاول الفرس نسبته إليهم باعتبار هجرته، وكذلك فعل الهنود، إلا أنه رأى اعتزازه بالإسلام وبالعربية، فكان يرى أنه ولد عربياً روحاً وثقافة وعقيدة ولغة.

٤- ابن العوام:

عالم أندلسى نشأ في القرن السادس الهجرى، له خبرة بالأراضى وأنواعها وقد ابتكر تحسين النباتات بالتطعيم والتهجين، وألف «الفلاحة الأندلسية»، وقد اشتهر هذا الكتاب في أوروبا، فكان كتاباً منهجياً مقرراً على طلاب الجامعات لعدة قرون، وقد اعتنى به المستشرقون، وترجموه إلى الفرنسية.

٥- أبو بكر الرازى:

أحد فلاسفة المسلمين في القرن الثالث الهجرى، له منهج علمى متكامل، يجمع فيه بين العلوم والمعارف الإنسانية في فلسفة واضحة، فإليه يرجع الفضل في فلسفة العلوم العملية كالطب والصيدلة والكيمياء، فإذا كانت درجة

(١٧) مجلة منبر الإسلام - محرم ١٤١٦هـ ص ٨٤

الدكتوراة التى تمنح في العلوم تعرف بأنها فلسفة فإن الذى أضفى عليها هذه السمة هو الرازى.

اهتم علماء الغرب بمؤلفاته وتصانيفه، واعتبروها مراجع مهمة في الطب والكيمياء لعدة قرون بعده، فقد درس «ستايلتون» الإنجليزى الكيمياء عن الرازى دراسة موسوعية موسطة، وشهد له بأنه بقى بلا ند حتى بزغ فجر العلم الحديث، وقد اختفى به في الأوساط العلمية في الشرق والغرب، ومن ذلك مايلى:

- توجد بكلية الطب بباريس صورة ملونة للرازى إلى جوار صورتى ابن سينا وابن رشد.

- خصصت جامعة «برنستون» الأمريكية أفخم ناحية في أجمل مبانيها لعرض مآثره.

- دعت صحيفة المقتطف إلى جعل يوم ٣٠ من يناير ١٩٣٠م يوماً للاحتفال بالعيد الألفى له في الأوساط والهيئات الطبية في الشرق والغرب.